## بالمعرفة نتجنب الشقاء

المعرفة من الأمور الأساسية لتجنب الشقاء، فالمعرفة تتيح لنا التمييز بين الصواب والخطأ، ولكن إلى أي مدى يمكن للإنسان معرفة حقيقة الأشياء؟ حين يكون محاصراً بالكذب والتضليل؟ وما الفرق بين المعرفة الحقيقية والمعرفة المزيفة التي تخدع الشخص الجاهل؟ وإذا كانت السعادة لا تتحقق إلا عن طريق المعرفة، فما هي مواصفات الإنسان العارف؟. وما الفرق بين المعرفة وبين الجهل والتعصب الأعمى؟.

كارل ماركس يقول: "إن الإنسان صانع تاريخه، والمعرفة عنده وليدة النظم القانونية والمذاهب الأخلاقية التي يعيش الفرد في ظلها، والتعليم والتربية التي تلقاها في حياته. والمعرفة هي نقطة بدء لنشاط الإنسان، وهي القوة الدافعة باتجاه التغيير. وتكون المعرفة حقيقية إذا استطاعت أن تحقق الأهداف المطلوبة. وإذا كان هدفنا في هذا المجال هو التوصل لتحقيق السعادة لا بد من معرفة إنسانية حقيقية لها منفعة في الحياة".

المعرفة الواضحة تسعد الإنسان بينما الغموض يدفعه إلى الحيرة والشك والتوتر والمخاطر. المعرفة ضرورية حتى في أبسط أمور الحياة، بما فيها ساعات النوم والطعام والنظافة وغيرها. فالمعرفة لا تتوقف على الموضوع الذي نريد معرفته فقط، بل على كل المواضيع الحياتية، وعلى مستوى الوعي والإدراك عند من يريد أن يعرف. الإدراك يختلف باختلاف الأفراد، أو الأوضاع، فالحواس لا تستطيع معرفة أكثر من الظواهر، والعقل يعمل على التحليل والاستنتاج، ولكن هذه الاستنتاجات العقلية تصبح غير دقيقة إذا لم تتوفر العناصر الأساسية والضرورية في عملية الاستنتاج، واستخلاص النتائج؛ ومن العناصر الضرورية للمعرفة القدرة

على التحليل وسعة الاطلاع، وهذا يبعدنا عن تصديق الأوهام. المهم هو الفطنة العملية التحليلية والنظرية معاً، لأن المعلومات المخزنة بشكل تلقين تُنسى بسرعة مع مرور الأيام، وإذا كان الإنسان لا يمتلك الفطنة والقدرة على التحليل يكون مثل الذي يمتلك كامل الأدوات للمعرفة ولا يعرف كيفية استخدامها.

وحسب قول أفلاطون: "الحكيم والجاهل كلاهما يسعى إلى الخير ويريد السعادة لكن الحكيم فقط يعلم حقيقة الخير بينما الجاهل لا يعرف غير الظواهر فقط ولهذا يسهل استغلاله". ويقول فيثاغورس: "الجهلة والأغبياء يسخرون من ذلك الذي لا يستطيعون فهمه" جميل أن ننظر إلى الأفعال لا إلى القشور والمظاهر الواهية، ونتخذ القدوة من أشخاص شجعان أذكياء، فالشجاعة هي رفض كل ثقافة دخيلة وغير منتجة.

وجاء في القرآن الكريم التحذير من الجاهل (خذ العفو وأمر بالعُرف واعرض عن الجاهلين) (الأعراف 199). وقال النبي (ص) عن الجاهل: (صفة الجاهل أن يظلم من خالطه، ويتعدى على من هو دونه، ويتطاول على من هو فوقه، كلامه بغير تدبر) وما الكفر إلا المرادف للجهل، ومعنى الكفر في اللغة الغطاء الذي يحجب المعرفة. يقول إخوان الصفاء: "إذا استغرقت النفس في الجهالة تغطى عليها أمر ذاتها، وذهل عليها معرفة جوهرها، وتنسى مبدأها، حتى تبلغ من جهالتها ألا تعلم بأن لها وجوداً خلواً من الجسد كما يظن ويقول كثيرٌ إن الإنسان هو هذا الجسد الطويل العريض المؤلف من اللحم والدم؛ ولا يدرون أن مع هذا الجسد جوهر آخر وهو المحرك له وهي النفس، ومن لا يعرف جوهر النفس فهو لا يعرف شيئاً من الأمور الروحانية ولا يتصورها، وإذا سمع ذكرها أنكرها لشدة استغراقه في بحر الهيولى وظلمات الجهالة".[18] الجاهل هو الذي يشقى بسبب جهله، ومن يعتمد على قدراته الجسدية أو المادية فقط لا يمكنه أن يتحرر من الخوف والشقاء، لأن الفضيلة ملكة صادرة عن العقل والحكمة، والجهل صادر

[18]- إخوان الصفاء ص 197.

عن فعل إرادي أيضاً لأن الجاهل بقي جاهلاً باختياره ولم يسعى لتطوير وتثقيف نفسه. ولهذا تكون الأفعال الصادرة عن الجهل أفعالاً إرادية ولكنها خاضعة للحواس والغريزة، لا للعقل، الجاهل هو الذي لا ينطلق في تفكيره إلى ابعد من وجود حقيقة مخيفة – حقيقة الفناء – فيبقى في خوفه بسبب هذه ألأفق الضيقة من التفكير.

موضوع الأخلاق هو كل الحياة. الأخلاق غاية وطريقة للتصرف السليم لتجنب المنزلقات ولتحقيق أكبر قدر من السعادة للناس.

لا شك أن المعرفة تحد من الأخطاء وتوجه الناس نحو الصلاح، وتحقق طمأنينة النفس، وتحرر الناس من مخاوفهم، ولكن المشكلة هذه السيطرة العمياء على عقول الناس، مع الانفتاح على كل الثقافات ومع وسائل التواصل وسهولة نقل الخبر، فلم يعد في عصرنا معرفة صافية لا تخضع لسلطة، أياً كانت هذه السلطة!.